راضع مع الشيطان

شنّان راضع مع الشيطان . هكذا كان يردّد ياسين العطّار وهو يعالج ذبابةً كانت تطنّ فوق رأسه . كان يمسك بيده (مهشّة) لطرد الذباب ويتذمّر لكساد بضاعته ، فمنذ يومين لم يدخل زبون إلى دكّانه المليء بالمعطّرات وقناني الشامبو .

سأله صباح ، ابنه الذي غادر المدرسة مبكراً ليتعلّم صنعة العطّاريّن :

ـ كيف رضع شنّان مع الشيطان يا أبي؟

لم يجبه ، كان منشغلاً في مطاردة الذبابة التي سلبت راحته . . لا تتحرّك ، الذبابة فوق رأسك ، اثبت . . طْرررربّ ، ضربها ياسين فطارت .

– ستصطادها في المرة القادمة يا أبي ، ولكن أرجوك حدّثني عن شنّان ، ماذا فعل ؟ سأل صباح ، فردّ ياسين :

– اسمع ياغبي : شنّان مشعوذ يعتاش على بيع الأحراز الجالبة للرزق والتعاويذ الحافظة للأرواح . كان يضحك على أهل القرى بأنّه يفكّ عقدة العريس في ليلة زفافه ، ويتفل في قدح الماء ليتحوّل بقدرة قادر إلى مقوّ جنسي يتناوله الرجال

مكتبة الفكر الجديد

قبل أن يناموا مع زوجاتهم .

هكذا كان يوهمهم شنّان ، فكانوا يأتونه صاغرين ، يحملون له الديَكة والنقود تعبيراً عن امتنانهم له . إلا قرية أسوَد ، فأهلها لا يعترفون بتخاريف شنّان ولا يشترون أحرازه بفلسين أحمرين .

– لماذا يا أبي ؟

– لأنّهم كانوا أهل نعمة يتفجّر الخير من بين أيديهم ومن خلفهم .

كان أهل أسود يزرعون الحنطة ويصدّرونها إلى المدينة . كان يمرّ في قريتهم نهر يعشقه سمك البنّي والقطّان . يصطادونه ويشوونه على أقراص المطّال ، ثم يبيعون ما زاد عن حاجتهم إلى القرى المجاورة .

مرّ بقريتهم شنّان المشعوذ يوماً ، فلم يسمع فيها لغواً ولا تأثيماً . كان رجال القرية منشغلين في ذرّ بيادر الحنطة وتنقيتها ، والنساء في رصّ قباب المطّال وتسويتها . رأى الخير وفيراً و(الحلال) يمرح في الحقول ، فأغاظه ما رأى وهمّ بمغادرة القرية .

طْرررب ، ضرب الذبابة ياسين العطّار فطارت . لحقها وهو يخاطب ابنه صباح :

– تِسْمعني ولَك؟

– نعم يا أبي أسمعك ، أرجوك أكمل ، ردّ صباح ، فأردف ياسين :

مكتبة الفكر الجديد

قبل أن يغادر شنّان القرية رأى إحدى النساء تحلب بقرة ، وكان قربها يقف ثورٌ عظيم مربوط إلى وتد . توقّف عندها .

– من توقف عندها؟

– شنّان يا غبي . . توقف شنّان عند المرأة وألقى التحية عليها سائلاً شربة لبن . انشغلت المسكينة بتلبية حاجته وفي غفلة منها أفلت اللعين رباط الثور وهرب . هجم الثور على المرأة ونطحها فماتت من ساعتها . سمع أحد الرجال بأن ثوراً قتل أخته فترك بيادر الحنطة وهرول إلى داره . حمل بندقيته بعد أن حشاها بإطلاقة مميتة . صوّبها نحو الثور وأرداه قتيلاً . سمع الزوج بأنّ حماه قتل ثوره ، فحمل بندقيته هو الآخر وهبّ طالباً للثأر . قتل حماه فسمع أهل أسود بالخبر .

– و ماذا فعلوا؟

– حملوا السلاح وانقسموا ، بعضهم ذهب مع صاحب الثور والآخر مع غريمه ، ولم تمض ساعتان حتى صارت مقتلة عظيمة اصطبغ على إثرها النهر باللون الأحمر وتبدّل طعم الماء فيه إلى طعم الدم . عندما سمعت زوجة شنّان بالخبر قالت له : «ماذا فعلت بهم يا رجل؟» فقال : «لم أفعل شيئاً ، فقط أفلتّ الثور» ، فسألت مستنكرةً : «وماذا جنيت من ذلك؟ ألم تعلمْ بأنّ قرية أسوَد ليسوا بحاجتك لأنّهم أهل خير لا يؤمنون بالشعوذة؟» فردّ : «على رسلك يا امرأة ، كفّي عن اللوم وتفرّجي ، سيتقاتلون حتى تحترق بيادرهم ، ويقضي حلالهم ،

مكتبة الفكر الجديد

ويذهب خيرهم . . عندها فقط سيأتونني صاغرين» .

– والآن ، هل عرفتَ كيف كان شنّان راضعاً مع الشيطان؟

قال ياسين العطّار وهو يطارد الذبابة العنيدة .

– عرفت يا أبي عرفت ، ردّ صباح .

اثبتْ . . لا تتحرّك ، طْرررب . . ضرب ياسين العطّار الذبابة فطارت دون أن يصيبها!

مكتبة الفكر الجديد